

عبد الله بن سلام الصحابي الذي آمن بالإسلام وأخلص

كان عبد الله بن سلام أول شخصية مهمة تقبل بالدين الإسلامي من بين اليهود ويكون لها أثرها الكبير ، فقد أسلم فيما بعد العديد من علماء وأحبار اليهود أمثال " مخيريق ووهب بن منبة وكعب الأحبار ومحمد بن كعب القرظي وأبو يعقوب " وهو رجل من أهل تدمر كان يهودياً فأسلم " (١) وقد كان محمد بن اسحق صاحب سيرة الرسول يعتمد على أهل الكتاب ، ويكثر الرواية عنهم ويسمئهم أهل العلم الأول (٢).

أما عبد الله بن سلام فقد دعي قبل إسلامه باسم الحصين بن سلام بن الحارث (٣) ، وسلام اسم والده . ولما أسلم سماه الرسول " عبد الله " (٤) . وهو من بني قينقاع . وكان له إبنان ، هما يوسف ومحمد (٥) ، ويُعد يوسف من الصحابة ، وله حديث عن الرسول ، ويقال إن الرسول هو الذي سماه يوسف ، وقيل ليس له صحبة ، وقد روى عن جماعة من الصحابة (٦).

ويورد صاحب السيرة قصة إسلامه كما سمعها من بعض أهل ابن سلام الذين نقلوها عنه قوله : " لما سمعت برسول الله عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نتوكف له ، فكنت مسرّاً لذلك صامتاً عليه ، حتى قدم رسول الله المدينة ، فلما نزل بقباء ،

في بني عمرو بن عوف ، أقبل رجل حتى أخبر بقدومه ، وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها ، وعمتي خالدة بنت الحارث تحتي جالسة فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله كبرت ، فقالت لي عمتي ، حين سمعت تكبيري : خيبك الله ، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادماً ما زدت . قال : فقلت لها : أي عمّة ، هو والله أخو موسى بن عمران ، وعلى دينه ، بعث بما بعث به ، قال : فقالت ، أي ابن أخي ، أهو النبي الذي كنا نخبر أنه يُبعث مع نفس الساعة؟ قال : فقلت لها : نعم . قال . فقالت : فذاك إذا . قال : ثم خرجت إلى رسول الله فأسلمت ، ثم رجعت إلى أهل بيتي ، فأمرتهم فأسلموا " (٧) .

ويذكر ابن سعد في الطبقات ، على لسان " أبو معمر المنقري " ما وصله عن خبر وصول الرسول إلى المدينة قال : " وإذا نزل نبي الله جانب الحرة وبعث إلى الأنصار فجاءوا نبي الله فسلموا عليهما وقالوا إركبا آمنين مطاعين قال فركب نبي الله وأبو بكر وحفوا حولهم بالسلاح . قال : فقبل في المدينة جاء نبي الله فاستشرفوا نبي الله ينظرون ويقولون : جاء نبي الله . قال : فأقبل يسير حتى نزل إلى جنب دار أبي أيوب . قال : فإنه ليحدث أهله إذا سمع به عبد الله بن سلام وهو في نخل لأهله يخترف لهم فعجل أن يضع التي يخترف فيها ، فجاء وهي معه فسمع من نبي الله ثم رجع إلى أهله " (٨) .

أجمعت أغلب الروايات أن إسلام عبد الله بن سلام كان بعد هجرة الرسول إلى المدينة، ولكن هناك رواية أنه أسلم والرسول في مكة لم يهاجر بعد(٩).

أما عن مكانة ابن سلام في قومه فقد أورد صاحب السيرة ما قاله زعماء اليهود فيه أمام الرسول، يوم أسلم عبد الله وطلب من الرسول أن يدخله في بعض بيوته ويغيبه عنهم ويسألهم عنه قبل أن يعرفوا بإسلامه. قد قالوا: " أنه سيدنا وابن سيدنا، وحبونا وعالمنا (١٠). وقد كان لإسلامه أثر كبير حتى أن بعضاً من زعماء وأخبار اليهود وبعض عامتهم قبلوا بالدعوة وأسلموا. وبالإضافة إلى من ذكرت سابقاً أذكر يامين بن يامين الإسرائيلي وقد أسلم على أثر إسلام عبد الله بن سلام وهو من بني النضير (١١)، وأيضاً، كعب بن سليم القرظي ويعد من الصحابة ورفاعة القرظي وزيد بن سعية وهو من الأخبار وقد توفي في غزوة تبوك " (١١).

وحول مكانة ابن سلام العلمية والدينية قبل وبعد الإسلام فتكاد الروايات كلها تجمع على أنه كان حبراً كبيراً وعالمًا مطلعاً، فقومه من اليهود يشهدون له أمام الرسول بأنه سيدهم وابن سيدهم وحبرهم وعالمهم(١٢). وكان عالمًا بأخبار الأولين وراويًا لأخبارهم (١٣)، حتى أن الرسول كان يطلب منه أن يقرأ له الكتب التي كانت تعرض أمامه باللغة العبرية(١٤).

ويذكر ابن سعد في " الطبقات " أن يزيد بن عميرة السكسكي قال : " انه كان تلميذاً لمعاذ بن جبل الذي أمره أن يطلب العلم من أربعة عبد الله بن مسعود وعبد الله بن سلام (١٥) وسلمان الفارسي وعويمر أبي الدرداء - كذلك يورد شهادة مجاهد بأن عبد الله بن سلام عنده علم الكتاب (١٦) . وبشهادة آخر أنه كان من علماء بني إسرائيل (١٧) . كذلك يذكره ابن خلدون في مقدمته المعروفة بأنه من أهل الكتاب الذين يعرفون الأخبار حول بدء الخليقة وما يرجع إلى الحدثن والملاحم وأمثال ذلك ، وأن التفاسير امتلأت من المنقولات عندهم في أمثال هذه الأغراض وهي أخبار موقوفة عليهم " . ويذكر ابن سعد عن أبي بردة قوله : " أن والده أرسله إلى عبد الله بن سلام ليتعلم منه " (١٨) .

حافظ عبد الله بن سلام على مكانته المحترمة بعد تقبله للدين الجديد ، وكان الرسول يُقربه إليه ، وكثيراً ما كان يطلب منه قراءة بعض كتب اليهود وغيرهم (١٩) ، كما أن الرسول أوكل إليه مسؤولية النساء والذرية في غزوة قريظة (٢٠) ، وعنه قال الرسول " هو عاشر عشرة في الجنة " (٢١) .

وظل بعد موت الرسول يحتل المكانة المحترمة بين الصحابة وقد برز ذلك يوم موت عمر بن الخطاب إذ " جاء عبد الله بن سلام وقد صلي على عمر فقال : والله لئن كنتم سبقتموني بالصلاة عليه ، لا تسبقوني بالثناء عليه فقام عند سريره فقال : نعم

أخو الإسلام كنت يا عمر جواداً بالحق بخيلاً بالباطل ، ترضى حين الرضى وتغضب حين الغضب ، عفيف الطرف طيب الظرف ، لم تكن مداحاً ولا مغتاباً ثم جلس (٢٢) . وهو الذي استشاره عثمان بن عفان يوم حوصر في داره وطلب من الناس المحاصرين أن يقبلوا توبته ، حيث أرسل لعبد الله بن سلام وقال له : ما ترى؟ فقال له عبد الله : " الكف الكف فانه أبلغ لك في الحجّة (٢٣) . كما وبرزت مكانته من الصحابة في قصته مع الصحابي سلمان الفارسي التي يرويها بقوله : " إن سلمان قال له : أي أخي أين مات قبل صاحبه فليترأ له . قال عبد الله بن سلام : أويكون ذلك؟ قال : نعم إن نسمة المؤمن مخللة تذهب في الأرض حيث شاءت ونسمة الكافر في سجن . فمات سلمان فقال عبد الله : فبينما أنا ذات يوم قائل بنصف النهار على سرير لي فأغفيت إغفاءة إذ جاء سلمان فقال : السلام عليك ورحمة الله . فقلت : السلام عليك ورحمة الله أبا عبد الله كيف وجدت منزلك؟ قال : خيراً وعليك بالتوكل فنعم الشيء التوكل وعليك بالتوكل فنعم الشيء التوكل وعليك بالتوكل فنعم الشيء التوكل " (٢٤) .

لم يقف عبد الله بن سلام على الحياد في النزاع الذي نشب على أثر تولي عثمان بن عفان الخلافة فقد كان منحازاً إلى عثمان ، مؤيداً له وإن كان ينتقد بعض تصرفاته ، وقد حفظ له عثمان المودة والإحترام ، حتى أنه استشاره ساعة حوصر في بيته وعرض على

المحاصرين له أن يقبلوا توبته حول ما يرى وقد أجابه ابن سلام قائلاً: " الكف الكف فانه أبلغ لك في الحجة " (٢٥) . وظل على إخلاصه لعثمان حتى بعد موته ، فقد كان من بين الذين امتنعوا عن مبايعة علي بن أبي طالب (٢٦) ، وقد قال يوم قتل عثمان " اليوم هلكت العرب " (٢٧) وقال أيضاً " والله لا تهرقون محجماً من دم إلا ازددتم به من الله بعدا " (٢٨) . ولما سُئل يوم مقتل عثمان عن صفته في كتب اليهود المقدسة قال : " نجدُه أميراً يوم القيامة على القاتل والخاذل " . " وأنه يحكم يوم القيامة في القاتل والخاذل " (٢٩) .

وقد نُسبت أقوال لعبد الله بن سلام ، موزعة بين كتب التفسير والحديث وكتب السير والأخبار ، لبعضها طابع اسرائيلي ، من القصص المعروفة بالإسرائيليات ، وطابع قصصي قد يكون هو صاحبها ومرجعها ، أو نُسبت إليه . وقد عُرف ابن سلام بأبي يوسف (٣٠) .

الإشارات

- ١- جواد علي - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - الجزء الأول -
ص ٤١٠ - ٤١١
- ٢- المصدر السابق - ص ٤١١
- ٣- ابن هشام - السيرة النبوية - الجزء - ص ١٦٢
- ٤- المصدر السابق
- ٥- جواد علي - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - الجزء السادس - ص ٥٦٣
- ٦- المصدر السابق . و تهذيب الأسماء - الجزء الثاني - ص ١٦٦
- ٧- ابن هشام - السيرة النبوية - الجزء الثاني - ص ١٦٣
- ٨- ابن سعد - كتاب الطبقات - جزء ١ ، القسم الأول - ص ١٥٩
- ٩- جواد علي - الجزء السادس - ص ٥٦٢
- ١٠- ابن هشام - السيرة النبوية - الجزء الثاني - ص ١٦٤
- ١١- جواد علي - الجزء السادس - ص ٥٦٣ - ٥٦٤ والطبري -
الجزء الثالث - ص ٣٩
- ١٢- ابن هشام - السيرة النبوية - الجزء الثاني - ص ١٦٤
- ١٣- جواد علي - الجزء الأول - ص ١٠٣ و ٤١٠
- ١٤- المصدر السابق - الجزء السادس - ص ٥٥١
- ١٥- ابن سعد - كتاب الطبقات - جزء ٢ ، القسم الثاني - ص ١١١

- ١٦- المصدر السابق - ص ١١١
- ١٧- المصدر السابق - ص ١١٢
- ١٨- ابن سعد - كتاب الطبقات - الجزء السادس - ص ١٨٧
- ١٩- جواد علي - الجزء السادس - ص ٥٥١
- ٢٠- ابن سعد - كتاب الطبقات - جزء ٢ ، القسم الأول - ص ٥٤ و
مونتجومري - محمد في المدينة - ص ٣٢٧
- ٢١- ابن سعد - كتاب الطبقات ، جزء ٢ ، القسم الثاني ، ص ١١١
- ٢٢- المصدر السابق - الجزء الثالث ، القسم الأول - ص ٢٦٨
- ٢٣- المصدر السابق - ص ٤٩
- ٢٤- المصدر السابق - الجزء الرابع ، القسم الأول - ص ٦٦ - ٦٧
- ٢٥- ابن سعد - كتاب الطبقات - جزء ٣ ، القسم الأول - ص ٤٩
- ٢٦- أحمد أمين - فجر الإسلام - ص ٢٥٤ - ٢٥٥
- ٢٧- ابن سعد - كتاب الطبقات - جزء ٣ ، القسم الأول - ص ٥٧
- ٢٨- المصدر السابق - ص ٥٧
- ٢٩- المصدر السابق - ص ٥٧
- ٣٠- جواد علي - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - الجزء
السادس - ص ٥٦٣